

الامامة والسياسة

[226] ألف (1) وستين ألفا إلى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورباعهم ورياشهم، والدقيق والجليل من مواعينهم، فإنه لا يصف أقله، ولا يعرف أكثره إلا من أحصى الاعمال، وعرف منتهى الآجال. وأبرزت حرمه إلى دار البانوقة ابنة المهدي، فوأي ما علمته عاش ولا عشن إلا من صدقات من لم يزل متصدقا عليه، وصار (2) من مودة الرشيد فيما لم يعلم من ملك قبله على آخر ملكه. وكانت أم جعفر بن يحيى [وهي] فاطمة بنت محمد بن الحسن بن الحسن بن قحطبة بن شبيب قد أرضعت الرشيد مع جعفر، وكان ربي في حجرها، وغذي برسلها، لان أمه ماتت عن مهده، فكان الرشيد يشاورها مطهرا لآكرامها، والتبرك برأيها، وكان قد آلى على نفسه، وهو في كفالتها أن لا يحجبها، وأن لا تستشفعه لاحد إلا شفعتها، وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها، ولا تشفعت لاحد لغرض دنيا. قال سهل: فكم أسير فكت، ومبهم عنده فتحت، ومستغلق منه فرجت. قال: واحتجب الرشيد بعد قدومه، فطلبت الاذن عليه من دار البانوقة، وممت بوسائلها إليه، فلم يأذن لها ولا أمر بشئ فيها، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها، واضعة لثامها، محتفية في مشيتها، حتى صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب، فقال طئر (3) أمير المؤمنين بالباب، في حالة تقلب شماتة الحاسد إلى حنين الولد وشفقة أم الواحد، فقال له الرشيد: ويحك يا بن الفضل: أو ساعية ؟ فقال: نعم أصلح أي الأمير حافية. فقال: أدخلها يا عبد الملك، فرب كبد كريم غزتها، وكربة فرجتها، وعورة سترتها. قال سهل: فوأي ما شككت في شئ قط ما شككت يومئذ في إجابة طلابها وإسعافها بحاجتها. فلما دخلت ونظر إليها داخله محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس، فأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها (4)، ثم أجلسها معه. فقالت: يا أمير المؤمنين، أيعدو علينا الزمان، ويجفونا خوفا لك الاخوان (5)، يحدرك بنا البهتان، ويوسوس لك في العقد: وما رأوا مثل مودة الرشيد فيما يعلم... (3) الطئر: العاطفة على غير ولدها المرضعة له من الناس والابل، الذكر والانثى في ذلك سواء. (4) في العقد: ثديها. (5) في العقد: الاعوان. (*)